

الأمير المنخفي



حَدِيقَةُ الظَّفِيرِ

الْأَمِيرُ الْمُنْخَفِيُّ

بِقَلَمِ

أَبِي الْهَيْثَمِ عَزَّ وَزَلَّ

مُتَنَزِّهٌ الطَّبَعِ وَالنَّشْرِ

مَكْتَبَةُ مِصْرَ

٣ شَارِعْ كَامِلِ صَدُوقِ (الْفَجَّالَةِ) بِالْقَاهِرَةِ

- ١ -

كَانَ خَزِيمَةُ بْنُ إِسْثَرٍ وَاحِدًا مِنْ أَجْوَادِ
 الْعَرَبِ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ الْأُمَوِيِّ ، سُلَيْمَانَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَكَانَتْ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ قَدْ امْتَدَّتْ وَاتَّسَعَتْ
 فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حُدُودِ الصِّينِ
 فِي الشَّرْقِ ، وَإِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْغَرْبِ .
 وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتْ أَكْبَرُ دَوْلَةٍ عَرَفَهَا تَارِيخُ الْعَالَمِ

فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الْمُرَامِيَّةُ الْأَطْرَافُ ،

مُقَسَّمَةً إِلَى وَلَايَاتٍ عِدَّةٍ ، يَحْكُمُ كُلُّ وَلَايَةٍ مِنْهَا

أَمِيرٌ أَوْ وَالٍ ، يَنْصِفُ بِالْعَدْلِ وَالْحَزْمِ وَالْإِسْتِقَامَةِ ،

كَمَا بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بِذَلِكَ .

مِنْ هَذِهِ الْوِلَايَاتِ ، وَلَايَةُ الْجَزِيرَةِ ، الَّتِي

تَقَعُ الْآنَ فِي الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جُمُهوريةِ الْعِرَاقِ

الشَّفِيقَةِ .

فِي هَذِهِ الْوِلَايَةِ أَقَامَ خَزِيمَةُ بْنُ إِسْهِرٍ ،

وَرَأَى يُنْفِقُ مِمَّا مَلَكَ يَدَاهُ عَلَى كُلِّ مَحْرُومٍ

وَمُحْتَاجٍ .. وَمَكَتَ عَلَى ذَلِكَ زَمَنًا لَيْسَ

بِالْقَصِيرِ !!

فَلَمْ تَلْبَثْ ثَرَوَتُهُ الطَّائِلَةَ أَنْ انْتَقَلَتْ

إِلَى أَيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَلَكِنَّهُ

ظَلَّ مَعَ ذَلِكَ لَا يَأْسَفُ عَلَى مَا فَعَلَ . وَرَاحَ يَنْتَظِرُ

أَنْ يَفْرَجَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ ، وَيُزِيلَ عُسْرَتَهُ . وَلَمَّا طَالَ

انْتِظَارُهُ رَجَعَ ذَاتَ مَسَاءٍ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ ظَاهِرُ

الضَّبِقِ وَالنَّعَبِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ بِابْنِسَامَةٍ

رَفِيفَةٍ حُلْوَةٍ ، تُرِيدُ أَنْ تُخَفِّفَ عَنْهَا بَعْضَ مَا كَانَ

لِشَعْرُوبِهِ مِنْ ضَبِقِ الصَّدْرِ ، وَهَمِّ النَّفْسِ !!

لَقَدْ كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَعْرِفُ سَبَبَ إِلَيْهِ وَضَيْفِهِ ،
وَكَانَتْ تَسْأَلُهُ كَمَا يَسْأَلُ ، وَتَحْزَنُ كَمَا يَحْزَنُ ، وَلَكِنَّهَا
مَعَ ذَلِكَ تَظَاهَرَتْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِالصَّبْرِ وَالرَّضَا ،
وَقَامَتْ تُعِدُّ طَعَامًا خَفِيفًا مِمَّا بَقِيَ عِنْدَهُمْ فِي الدَّارِ ،
ثُمَّ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ ، وَجَلَسَتْ تُؤَاكِلُهُ وَتُلَاطِفُهُ ،
وَتَقْضِي عَلَيْهِ قِصَصًا مُسَلِّيَةً ، وَحِكَايَاتٍ طَرِيفَةً ،
لِتَشْغَلَهُ عَنْ هُمُومِهِ وَأَفْكَارِهِ . وَلَمَّا وَجَدَتْهُ
لَا يَزَالُ ضَبَقَ الصَّدْرَ قَالَتْ لَهُ :

— لِمَاذَا تَفْلُقُ وَتَجْزَعُ يَا بَنَ الْعَمِّ ؟ ! إِنَّكَ
تُوشِكُ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى نَفْسِكَ بِهَذَا الْأَسَى

وَالْأَسَفُ !!

إِنَّكَ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ شَرِّكَ شَيْئًا فِي
مَحَرَّمٍ .. وَسُكَّانُ الْجَزِيرَةِ كُلُّهُمْ يَعْلَمُونَ
أَنَّكَ كُنْتَ تُقَدِّمُ أَمْوَالَكَ لِكُلِّ مُحْتَاجٍ ، فَمَا
بِخَلَّتْ بِهَا يَوْمًا عَلَى جَائِعٍ وَلَا عَرِيَانٍ ، وَمَا كَفَفَتْ
يَدَكَ عَنْ مُسَاعَدَةِ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، وَمَا أَفْضَلْتَ
بَابَكَ فِي وَجْهِ طَارِقٍ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ !!

وَابْتَسَمَتْ فِي وَجْهِهِ ابْنُ سَامَةَ مُطْمَئِنَّةٌ وَهِيَ

نَقُولُ :

— إِنَّ الرَّجُلَ صَاحِبَ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ ، لَا يَطْلُبُ



وزاد به الأثر فأدار ظهره للطعام.. ص ١١

الْمَالِ ، وَلَا يَحْرُصُ عَلَى الْمَزِيدِ مِنْهُ ، إِلَّا لِيُنْفِقَهُ
 فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ ، الَّتِي أَنْفَقْتَ ثَرْوَتَكَ فِيهَا !!
 فَوَضَعَ اللُّقْمَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَالْذُّمُّوعُ
 فِي عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

— لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ يَا أَرْوَى ، أَنَّنِي لَا أُحْزَنُ عَلَى
 شَيْءٍ صَنَعْتُهُ أَبَدًا .. وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْرُوفَ
 لَنْ يَضِيعَ عِنْدَ اللَّهِ ، إِذَا ضَاعَ عِنْدَ النَّاسِ !! وَلَكِنِّي
 أُحْزَنُ الْآنَ أَشَدَّ الْحُزْنِ ، لِأَنِّي أَرَاكَ تَعِيشِينَ هَذِهِ
 الْعِيشَةَ الْخِشْنَةَ الْقَاسِيَةَ ، بَعْدَ حَيَاةِ الْعِزِّ
 وَالنَّعِيمِ .. تَكْفِيْنِ بِالْأَكْلَةِ الْوَاحِدَةِ عَنِ الْأَكْلَانِ ،

وَتَلْبَسِينَ فِي الشَّتَاءِ مَلَابِيسَ الصَّيْفِ ، وَتَعْمَلِينَ
 بِيَدِكِ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ الْجَوَارِي وَالْغِلْمَانُ مِنْ قَبْلُ !!
 وَفَرَّتْ مِنْ عَيْنِهِ دَمْعَةٌ سَاخِنَةٌ ، لَوْ لَيْسَ نَاطِقٌ
 مَعَهَا ، وَاسْتَمَرَ يَقُولُ :

— هَذَا هُوَ سَبَبُ حُزْنِي وَشِقَايَ يَا أَرْوَى .. أَمَّا
 مَا لَفِيتُهُ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ ، فَهُوَ شَيْءٌ كُنْتُ
 أَعْرِفُهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ ، لِأَنَّهُ مِنْ طَبِيعِ النَّاسِ فِي كُلِّ
 وَقْتٍ ، وَفِي كُلِّ بَلَدٍ ، وَفِي كُلِّ جَنَسٍ مِنْ أَجْنَاسِ
 الْبَشَرِ !!

نَعَمْ !! لَقَدْ سَاعَدُونِي فِي مُحَنِّي ، وَمَدُّوا

إِلَى أَيْدِيهِمُ الْكَرِيمَةَ ، عِنْدَ مَا كَانُوا يَرْجُونَ - كَمَا

كُنْتُ أَرْجُو - أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ حَالِي ، وَأَنْ يُعِيدَ إِلَيَّ

أَيَّامَ الرِّخَاءِ وَالنَّعِيمِ .. وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ اسْتَمَرَّتْ ،

وَطَالَ زَمَنُ الْعُسْرَةِ ، فَتَغَيَّرَتْ نَفُوسُهُمْ ، وَانْقَبَضَتْ

أَبْدِيهِمْ ، وَفَرُّوا مِنْ لِفَاقِي ، خَشْيَةً أَنْ أُطْلَبَ

الْمَزِيدَ مِنَ الْقُرُوضِ وَالْمَسَاعِدَاتِ !!

وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً أُخْرَى وَرَاحَ يَقُولُ :

— آه يَا أَدْرَى !! إِنَّ الْإِنْسَانَ بَعِيشٌ مَحْبُوبٌ

مِنَ النَّاسِ ، مَا دَامَ فِي غِنَى عَنْهُمْ ، فَإِذَا احتَاجَ

إِلَيْهِمْ كَرِهُوا وَنَفَرُوا مِنْهُ !!

وَزَادَ بِهِ الْأَلَمُ ، فَأَدَارَ ظَهْرَهُ إِلَى الطَّعَامِ ،

وَرَاخَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ بِطَرْفِ عِبَاءَتِهِ !!

شَقَّ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ تَرَاهُ فِي هَذِهِ الْأَلَامِ

النَّفْسِيَّةِ ، فَابْتَسَمَتْ فِي وَجْهِهِ وَقَالَتْ وَكَأَنَّنَا
تَعَانِبُهُ :

— يَا لَلَّهِ !! إِنِّي مَا رَأَيْتُكَ فِي يَوْمٍ بِأَسْأَ ،

كَمَا أَرَاكَ اللَّيْلَةَ يَا خُرَيْمَةُ !! فَلِمَاذَا تَتْرُكُ

الْيَأْسَ لِيَسْتَوِلِيَ عَلَيْكَ وَيُهْلِكَكَ ؟ !

لَيْسَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِفُنْقِرَ فِيهَا إِنْسَانٌ

بَعْدَ غِنَى . . وَلِمَ نَكَ لِنَعْلَمَ أَنَّ الْغِنَى لَا يَدُومُ ،

وَأَنَّ الْفَقْرَ لَا يَبْقَى . . وَلَنْ يَنْسَاكَ رَبُّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، لِأَنَّكَ مَا كُنْتَ تَنْسَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ
عِبَادِهِ !!

ثُمَّ غَيَّرَتْ نَبْرَاتِ صَوْنِهَا ، وَقَالَتْ بِصَوْتٍ
يَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي النَّفْسِ :

— أَمَا سَمِعْتَ يَا خُرَيْمَةُ عَنْ جُودِ خَلِيفَتِنَا
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ ! لَفَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ يُعْطِي
الْكَثِيرَ ، وَبُعِينُ أَصْحَابِ الرُّوءَاةِ عَلَى مُرُوءَتِهِمْ !!
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَعْرِفُ مِنْ أَخْبَارِ كَرَمِكَ مَا يَمْلَأُ نَفْسَهُ
مَحَبَّةً لَكَ وَإِعْجَابًا بِكَ ، فَلَوْ أَنَّكَ وَصَّيْتَ إِلَيْهِ ،

لَعُدَّتْ مِنْ عِنْدِهِ فِي أَحْسَنِ حَالٍ وَأَكْرَمِ مَنَزِلَةٍ!!

نَفْسٌ خُرَيْمَةٌ نَفْسًا طَوِيلًا ثَقِيلًا ، وَقَالَ :

— مَا نَسِيتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا جَهْلَتُ كَرَمَهُ

وَفَيْضَ يَدِهِ يَا أَرْوَى ، وَلَكِنْ كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَيْهِ ،

وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ وَعَرٌّ ، وَلَا رَاحِلَةً لَنَا نَرْكَبُهَا مِنْ

الْجَزِيرَةِ إِلَى دِمَشْقَ ؟ !

فَقَالَتْ مُشَجَّةٌ :

— اقْرِضْ ثَمَنَ رَاحِلَةٍ يَخْرِيْمَةٌ ، وَلَا تَتَرَدَّدْ

فِي زِيَارَةِ الْخَلِيفَةِ !!

فَأَجَابَهَا بِيَأْسٍ شَدِيدٍ :

— وَهَلْ نَظَنِّينَ أَنِّي أَجِدُ مَنْ يُقْرِضُنِي شَيْئًا؟!

إِنَّ الدَّائِنِينَ لَيَسُدُّونَ عَلَى مَسَالِكَ الطُّرُقِ أَيْنَمَا

سِرْتُ !!

ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً مُحْرِقَةً وَقَالَ :

— كَلَّا يَا أَرْوَى !! لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِمَّا نَقُولِينَ !!

لَفَدَّ عَرَفْتُ طَرِيقَ الْخَلَاصِ !! سَأَقْفِلُ الْبَابَ

وَأَبْقَى هُنَا ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الْفَرَجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،

أَوْ أَمُوتَ جُوعًا !!

وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَظْفٍ وَقَالَ :

— أَمَّا أَنْتِ فَفِي ثَرَاءٍ أَهْلِكَ وَغِنَاهُمْ ،

مَا يَضُنُّ لَكَ حَيَاةً كَرِيمَةً مِنْ بَعْدِي !!
 فَلَمَّا رَأَتْهُ يَكَادُ يَهْلِكُ مِنَ الْهَمِّ وَالْيَأْسِ ،
 أَخَذَتْ يَدَهُ بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ ، وَسَارَتْ بِهِ إِلَى
 الْفِرَاشِ وَهِيَ تَقُولُ :

— هَيَّا إِلَى النَّوْمِ ، فَقَدْ طَالَ بِنَا السَّهَرُ . .
 وَلَا بُدَّ أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَإِنَّ فَوْجَهُ
 قَرِيبٌ ، وَعَيْنُهُ سَاهِرَةٌ نَزَعَى الْعِبَادَ !!

— ٢ —

وَكَانَ عِكْرِمَةُ الْفَيَاضِ وَالْبَاءُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْجَزِيرَةِ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ

يَسْمُرُ كُلُّ لَيْلَةٍ مَعَ أَشْرَافِ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَكِبَارِ
رِجَالِهَا . . . وَكَانَ بِمَحْرُصٍ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ الْحَرِصِ ،
لِيَعْرِفَ مِنْ جُلَسَائِهِ أَخْبَارَ الْوِلَايَةِ ، وَمَا
يَجْرِي فِيهَا مِنْ صِغَارِ الْأُمُورِ وَكِبَارِهَا !!
وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ ذَكَرَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ
خُرَيْمَةَ بْنَ إِشْرِ ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ :
— ذَكَّرْتُمُونِي خُرَيْمَةَ . . . فَقَدْ مَضَتْ مَدَّةٌ
طَوِيلَةٌ مِنْذُ انْقَطَعَ عَنْ مَجْلِسِنَا هَذَا . . . وَقَدْ
كَانَتْ لَهُ مَوَاقِفُ نَبِيلَةٍ ، يَبْلُغُ فِيهَا ذُرُوءَ
الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ ، وَكَانَتْ فِيهِ وَجَاهَةٌ تَزِينُ

كُلَّ مَجْلِسٍ بِمَجْلِسٍ فِيهِ !! فَمَاذَا غَيَّرَهُ عَلَيْنَا؟؟

وَمَاذَا أَغْضَبَهُ مِنَّا؟؟

فَقَالَ الْمُتَحَدِّثُ :

— كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ . . مَا تَغَيَّرَ خُرَيْمَةٌ وَلَا غَضِبَ ،

وَلَكِنَّهُ فِي عُسْرٍ وَشِدَّةٍ مِنْ قِلَّةِ الْمَالِ ، وَضِيقِ

ذَاتِ الْيَدِ !!

وَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا عِلِمَ مِنْ أَمْرِهِ !!

فَظَهَرَ الْأُسْفُ وَالْأَسَى فِي وَجْهِهِ عِكْرَمَةً ،

وَقَالَ :

— وَأَسْفَاهُ !! مَا نَتِ الْمُرُوءَةُ فِي نَفُوسِ

الرَّجَالِ !!

خُرَيْمَةُ الَّذِي مَلَأَ مَعْرُوفُهُ السَّهْلَ وَالْجُبَلَ ،
وَعَمَّ جُودُهُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ ، يَقْضِي حَيَاتَهُ
حَبِيسَ الدَّارِ !!

قَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ ، وَلِزِمَ الصَّمْتُ إِلَى آخِرِ
الْمَجْلِسِ !!

///

نَفَرَقَ الْحَاضِرُونَ ، وَانْظَرَعِ كِرْمَةُ حَتَّى
انْصَرَفَ اللَّيْلُ ، وَسَكَنَتِ الْحَرَكَةُ فِي طُرُقِ
الْمَدِينَةِ ، وَقَامَ إِلَى خِرَانِيهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ

آلَافٍ دِينَارٍ ، وَوَضَعَهَا فِي كَبْسٍ كَبِيرٍ ، وَتَنَكَّرَ
 فِي مَلَابِسٍ خَفِيَّةٍ ، وَأَمَرَ غُلَامَهُ بِأَنْ يُسْرِجَ جَوَادَهُ
 وَلِيَسْتَعِدَّ لِلْخُرُوجِ !!

سَارَ عِكْرَمَةُ وَمِنْ وَرَائِهِ الْغُلَامُ يَحْمِلُ الْكَبْسَ ،
 حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِ الْحَيِّ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ خُرَيْمَةُ ،
 فَتَزَلَ مِنْ فَوْقِ الْجَوَادِ ، وَأَخَذَ الْكَبْسَ مِنَ الْغُلَامِ ،
 وَأَمَرَهُ أَنْ يَفِيفَ بِالْجَوَادِ حَيْثُ هُوَ ، وَتَقَدَّمَ بِحِمْلِ
 الْكَبْسِ وَحْدَهُ إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ !!

وَهُنَاكَ طَرَقَ الْبَابَ بِرِفْقٍ حَتَّى لَا يَسْمَعَهُ
 أَحَدٌ غَيْرُ سُكَّانِ الدَّارِ ، فَهَبَّ خُرَيْمَةُ مِنْ نَوْمِهَا

مَفْرُوعًا ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّ أَحَدَ الدَّائِنِينَ ، جَاءَ
يَطْلُبُ مِنْهُ سَدَادَ مَا أَخَذَهُ .. وَاتَّجَهَ إِلَى
الْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :

— نَالَهُ إِنَّهُ لَكَرِيمُ الْخَلْقِ ، إِذْ جَاءَ تَحْتَ سِنَارِ
الْبَلْبَلِ ، لَكَيْلًا يَفْضَحَنَا بَيْنَ النَّاسِ ! ! وَلَكِنْ مِنْ
أَبْنَى لِي مَا أَذْفَعُهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ خَلَّتِ الدَّارُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ وَحَتَّى الْأَثَاثِ وَالْفِرَاشِ ؟ ! أَلَا فليَرْحَمْنَا
اللَّهُ !!

قَالَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْأَخْبَرَةُ ، وَيَدُهُ تُحَرِّكُ
الْمِفْتَاحَ .. وَإِذَا بِهِ يَجِدُ أَمَامَهُ رَجُلًا



وتركه في موقفه حاشرا .. ص ٢٤

مُنْخَفِيًّا ، لَا يَكَادُ يَظْهَرُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَهُوَ بِمَدِّ
إِلْبِهِ يَدُهُ بِكَيْسٍ ثَقِيلٍ ، وَيَقُولُ لَهُ :

— السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خُرَيْمَةُ !! خُذْ هَذَا وَأَصْلِحْ
بِهِ شَأْنَكَ ، وَدَبِّرْ بِهِ أُمُورَكَ ، فَمِثْلُكَ يَا خُرَيْمَةُ
يَجِبُ أَنْ يُعَانَ وَيُسَاعَدَ عَلَى مَرُوءَتِهِ !!

أَمْسَكَ خُرَيْمَةُ الْكَيْسَ بِيَمِينِهِ وَأَمْسَكَ يَدَ
الرَّجُلِ بِشِمَالِهِ وَقَالَ :

— شُكْرًا لَكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَوَادُ .. وَلَكِنْ مَنْ
أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ نَفْتِيْمُ ؟ ؟

فَأَجَابَهُ عِكْرِمَةُ وَقَدْ اجْتَهَدَ أَنْ يُغَيِّرَ مِنْ

نَبَرَاتِ صَوْتِهِ ، كَمَا غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ :

— مَا جِئْتُكَ يَا خُرَيْمَةُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ،

وَبِهَذِهِ الصُّورَةِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ نَعْرِفَ

مَنْ أَنَا !!

أَعَادَ خُرَيْمَةُ الْكِيسَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

— سَيِّدِي .. لَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى هَدِيَّتِكَ

إِلَّا إِذَا عَرَفْتُ مَنْ أَنْتَ ، فَإِنْ كُنْتَ حَقًّا زُرْتُكَ

تَصْنَعُ مَعِيَ جَمِيلًا ، فَادْكُرْ اسْمَكَ ، فَإِنْ مَعْرِفَتِي

لَكَ خَيْرٌ عِنْدِي مِنْ كُلِّ هَدِيَّةٍ !!

فَقَالَ عَاكِرَةُ وَهُوَ يُعِيدُ الْكِيسَ إِلَى بَدِ خُرَيْمَةَ :

— مَا كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ نَنَمَسَكَ بِهَذَا الْمَطْلَبِ

الْعَسِيرِ الشَّاقِّ ، وَلَكِنْ لَكَ مَا تُرِيدُ يَا خُرَيْمَةُ ..

أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ !!

وَتَرَكَهُ فِي مَوْفِفِهِ حَائِراً ، وَانْطَلَقَ بِحُثٍّ

الْخُطْبَى إِلَى حَيْثُ يَصِفُ الْغُلَامُ !!

و و و

حَمَلَ خُرَيْمَةُ الْكِيسَ ، وَرَجَعَ بِهِ إِلَى

زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

— جَاءَ الْفَرْجُ يَا بِنْتَ الْعَمِّ !! هَيَّا أَوْفِدِي

الْمِصْبَاحَ لِذِي مَا فِي الْكِيسِ .. إِنَّهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ ..

أَكْثَرُ مِمَّا نَحْنُاجُ إِلَيْهِ !!

فَأَجَابَنَّهُ بِضُرْحَةٍ :

— أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : إِنَّ عَيْنَ اللَّهِ لَا تَغْفُلُ عَنَّا ،

وَإِنَّ رَحْمَتَهُ قَرِيبَةٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ !!

وَأَرَادَتْ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مِصْبَاحٍ ، وَلَكِنَّمَا تَذَكَّرَتْ

أَنَّ بَيْتَهُمْ لَيْسَ فِيهِ مِصْبَاحٌ وَلَا شُعْلَةٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ

زَيْتٌ وَلَا وَقُودٌ ، فَجَلَسَتْ بِجِوَارِهِ ، وَرَاحًا يَلْمِسَانِ

الْكَيْسَ وَيَقُولَانِ لِسُرُورٍ وَفَرَجٍ :

— إِنْ كَانَ مَا فِيهِ دَرَاهِمَ عَشْنَاهَا فِي كَفَافٍ

وَعَنَى عَنِ النَّاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ دَنَانِيرَ قَضَيْنَا

حَيَاتُنَا فِي نَعِيمٍ وَرَخَاءٍ !!

وَوَضَعَا الْكِيسَ أَمَامَهُمَا وَقَمَا يُصَلِّيَانِ

صَلَاةَ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَزِيلَةِ !!

— ٣ —

اسْتَيْقَظَتْ سَلْمَى بِنْتُ الشَّرِيدِ مِنْ نَوْمِهَا،

عَلَى وَقْعِ أَقْدَامِ تَنْقِلٍ بِحَذَرٍ وَخِفَةٍ فِي حُجْرَتِهَا،

وَأَوْشَكَتْ أَنْ نَصْبِحَ مِنَ الذُّعْرِ وَالْخَوْفِ :

— أَدْرِكْنِي يَا عِكْرَمَةُ !! —

وَلَكِنَّمَا قَبِلَ أَنْ تَنْفَرَجَ شَفَاهَا عَنْ هَذِهِ

الصَّيْحَةِ ، رَأَتْ عِكْرَمَةَ يَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ،

وَيَخْلَعُ اللَّثَامَ الَّذِي كَانَ لَيْسَتْ خُفَى بِهِ عَنِ الْأَعْيُنِ ،

وَيُلْقِيهِ عَلَى مِشْجَبٍ قَرِيبٍ مِنَ السَّرِيرِ ! !

فَفَضَزَتْ مِنْ فِرَاشِهَا ، وَوَقَفَتْ أَمَامَهُ وَجْهًا

لِوَجْهِهِ ، وَرَاحَتْ تَقُولُ بِحِدَّةٍ وَغَضَبٍ ، وَقَدْ أَثَارَتْ

الْغَيْرَةَ شُكُوكَهَا :

— أَبْنُ كُنْتُ يَا عِكْرِمَةُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّبْلِ ؟؟

وَلِمَاذَا تَخَفَّيْتَ وَتَنَكَّرْتَ ؟؟

أَدْرَكَ عِكْرِمَةُ مَا يَدُورُ بِنَفْسِهَا مِنَ الْخَوَاطِرِ ،

فَابْتَسَمَ ابْنُ سَامَةَ هَادِئَةً ، وَوَضَعَ ذِرَاعَهُ عَلَى

كَتِفَيْهَا ، وَقَالَ وَهُوَ يَدَاعِبُ ذَقْنَهَا بِأَنَامِلِ يَدَيْهِ

الْأُخْرَى :

— اِطْمَئِنِّي يَا سَلَمَى ، فَقَدْ خَرَجْتُ لِشَأْنٍ مِنْ

شُؤْنِ الرَّعِيَّةِ !!

وَلَكِنَّهَا انْفَلَتَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَزَادَتْ

تَوَدُّتُهَا ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهَا وَقَالَتْ مُرِدَّةٌ كَلَامَهُ :

— "خَرَجْتُ لِشَأْنٍ مِنْ شُؤْنِ الرَّعِيَّةِ" !!

ثُمَّ قَالَتْ وَكَأَنَّهَا تَسْخَرُ :

— أَنْظُرْ أَنْتِي أَجْهَلُ ابْنٍ كُنْتَ أَبُهَا الْوَالِي ؟ !

جَلَسَ عِزَّةٌ عَلَى أَقْرَبِ مَقْعَدٍ مِنْهُ ، وَعَادَدَتْهُ

الْإِبْنِ سَامَةً ، وَقَالَ مُدَاعِبًا :

— وَأَبْنُ كُنْتُ إِذَنْ ، مَا دُمْتُ لَا تَجْهَلِينَ ؟ !
 فَأَخْشَقَ صَوْتُهَا بِالْغَضَبِ ، وَأَمْسَكَتْ لَحْظَةً
 عَنِ الْكَلَامِ ، ثُمَّ عَادَتْ تَقُولُ :

— وَالِى الْجَزِيرَةِ ، يَخْرُجُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنْ
 اللَّيْلِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ حَرَسٌ وَلَا سِلَاحٌ ، وَهُوَ
 مُنْخَفٌّ مُنْكَرٌ ، دُونَ عِلْمٍ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ،
 ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ لِأَمْرٍ مُرِيبٍ ! !

هَذَا فِي الدُّنْيَا عَاقِلٌ يُصَدِّقُ هَذَا ؟ ! لَا ..
 لَا .. أَرِحْنِي بِعِكْرِمَةٍ وَقُلْ : إِنَّكَ خَرَجْتَ
 لِزَوْجِكَ الثَّانِيَةِ ! !

ثُمَّ قَالَتْ بِغَيْرِهِ وَسُخْرِيَةِ :

— وَلَوْ أَنَّكَ أَخْبَرْتَنِي مِنْ قَبْلُ ، خَبَرْتُ زَوَاجَكَ

الْجَدِيدِ ، لَدَبَّرْتُ لَكَ أَمْرَ اللَّقَاءِ وَالزِّيَارَةِ ،

وَأَرْحُوكَ مِنْ هَذَا الشُّكْرِ وَالْعَنَاءِ !!

ضَحِكَ عِكْرِمَةُ ضِحْكَةً صَافِيَةً ، وَقَالَ :

— بِحَيَاتِكَ يَا سَلَمَى مَا كَانَ شَيْءٌ مِمَّا نَظُنُّنَ ..

وَلِأَنَّكَ لَنَعْلَمِينَ أَنَّ قَلْبِي لَا يَتَّسِعُ لِامْرَأَةٍ أُخْرَى مَعَ

بِنْتِ الشَّرِيدِ ، مَهْمَا يَكُنْ شَأْنُهَا .. وَلَكِنَّ

خَرَجْتُ لِأَمْرٍ لَا أَحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ أَحَدٌ سِوَايَ !!

شَعَرْتُ سَلَمَى بِصِدْقِ قَوْلِهِ ، وَسَالَتْ

دُمُوعُهَا مِنَ الْفَرَجِ ، وَلَكِنَّهَا رَغِبَتْ فِي مَعْرِفَةِ

هَذَا السِّرِّ الْخَطِيرِ ، فَقَالَتْ :

— لَسْتُ أَحَدًا سِوَاكَ يَا عِزَّةُ حَتَّى نَطْلُوقَ

عَنِّي هَذَا السِّرَّ . . فَأَنَا أَنْتَ ، وَسِرُّكَ

سِرِّي ، فَلَمَّا ذَا تَتْرُكْنِي لِهَذِهِ الْغَيْرِ الَّتِي

تُمَرِّقُ قَلْبِي ؟ ! قُلْ يَا عِزَّةُ وَأَرِحْنِي مِنْ

كُلِّ شَكٍّ وَظَنٍّ ! !

فَقَالَ لَهَا :

— وَتَكْنُمِينَ مَا أَقُولُ ؟ !

فَأَجَابَتْ :

— وَهَلْ كَانَ مِنِّي غَيْرُ الْكِثْمَانِ فِي كُلِّ مَا وَفَّقْتُ
عَلَيْهِ مِنْ أَشْرَارِكَ ؟ !

وَعِنْدَئِذٍ أَخْبَرَهَا بِقِصَّةِ خُرَيْمَةَ ، وَبِكُلِّ
مَا صَنَعَهُ مَعَهُ ، فَوَجَدَتْ فِي نَفْسِهَا رَاحَةً
وَسَعَادَةً لَوْ تَشَعَّرُ بِمِثْلِهِمَا قَطُّ ، وَقَالَتْ وَهِيَ
تَهْتَرِزُ مِنَ الطَّرَبِ :

— أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى فِعْلِ الْمَكْرُمَاتِ يَا عِكْرِمَةُ
فَمِنْ أَجْلِ هَذَا سَمَّاكَ النَّاسُ الْفَيَّاضَ !!

و . و . و

أَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُرَيْمَةَ وَزَوْجَتِهِ ، فَإِنَّهُمَا

قَضِيَا لَيْلِنَهُمَا فِي سُرُورٍ وَسَعَادَةٍ .. وَمَا كَادَتْ
 أَضْوَاءُ الصَّبَاحِ نَلْتَشِرُ فِي الْأُفُقِ ، وَتُبَدُّ ظُلْمَةٌ
 اللَّيْلِ ، حَتَّى أَفْرَغَ خَزِينَةُ مَا فِي الْكِيسِ ، وَأَخَذَ
 يَعُدُّ وَيَعُدُّ ثُمَّ صَاحَ بِدَهْشَةٍ :

— أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ !! أَرْبَعَةُ آلَافٍ !!

وَنَفَسَ نَفْسًا عَمِيقًا ، وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى

الْحَائِطِ وَقَالَ :

— الْآنَ اسْتَرَحْتُ يَا أَرْوَى !! لَفَدْ ظَنَنْتُ

أَنَّ جَابِرَ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ .

وَعَايَنْتُ نَفْسِي أَنْ أَبْحَثَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ،

حَتَّى أَكْشِفَ أَمْرَهُ ، وَأَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ ، لِأُرَدِّ
 إِلَيْهِ هَذَا الْجَمِيلَ الْكَبِيرَ . أَمَّا الْآنَ فَفَدَّاكَ
 عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَلَئِنَّمَا
 مُوَمَّلَكُ مِنْ سُكَّانِ السَّمَاءِ ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُنْفِذَنَا
 مِمَّا كُنَّا فِيهِ . . . فَمَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ أَنَّ
 إِنْسَانًا جَادَتْ نَفْسُهُ بِمِثْلِ هَذَا الْعَطَاءِ الضَّخْمِ ،
 إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ .

فَهَزَّتْ ذَوْجَتُهُ رَأْسَهَا وَهِيَ تَقُولُ :

— نَعَمْ هَذِهِ رَحْمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . . وَلَكِنْ

يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ جَابِرَ الْعَثَرَاتِ !!



أَحْصَى خُرَيْمَةُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّيُونِ ، وَخَرَجَ
 إِلَى الدَّائِنِينَ وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَهُ مِنْهُمْ مَصْحُوبًا
 بِشُكْرِهِ ، وَاعْتَرَفَهُ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ . ثُمَّ جَدَّدَ
 مَلَائِسَهُ وَمَلَائِسَ زَوْجَتِهِ ، وَأَصْلَحَ مِنْ شُئُونِهِ
 مَا يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ ، وَاشْتَرَى رَاحِلَتَيْنِ وَبَعْضَ
 الْغُلَمَانِ . . . وَسَارَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي
 دِمَشْقَ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَ عَمَلًا عِنْدَهُ ، لِأَنَّهُ
 صَارَ يَكْرَهُ أَنْ يَعِيشَ بِدُونِ عَمَلٍ .



دَخَلَ الْحَاجِبُ عَلَى سُلَيْمَانَ وَهُوَ يَقُولُ :

— رَجُلٌ ذُو هَيْئَةٍ وَوَجَاهَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

اسْمُهُ خَزِيمَةُ بْنُ إِسْخَرٍ ، يَطْلُبُ الْإِذْنَ بِاللِّخْوَلِ !!

فَقَالَ سُلَيْمَانُ :

— وَيُحَكِّ يَا غُلَامُ !! هَذَا كَرِيمُ الْجَزِيرَةِ ..

عَجَّلُ بِالْإِذْنِ لَهُ ، وَلَا نَتْرُكُهُ وَاقِفًا مَعَ الشُّعْرَاءِ

وَأَصْحَابِ الْحَاجَاتِ !!

وَقَفَ خَزِيمَةُ أَمَامَ سُلَيْمَانَ بِأَدَبٍ بَعْدَ أَنْ

حَيَّاهُ بِنَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَهَشَّ سُلَيْمَانُ فِي

وَجْهِهِ ، وَاسْتَفْبَلَهُ بِحَفَاوَةٍ وَإِكْرَامٍ ، وَقَالَ لَهُ :



وقصر عليه كل ما حدث معه .. ص ٣٨

— كُنَّا نَحِبُّ أَنْ نَزَالَكَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ يَا خُرَيْمَةَ،

فَلِمَاذَا قَعَدْتَ عَنْ زِيَارَتِنَا ؟

فَأَجَابَ خُرَيْمَةُ وَهُوَ لَا يَزَالُ وَاقِفًا :

— أَيَّدَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِهِ ، وَأَعْلَى رَأْيَهُ

فَوْقَ الرَّأْيَاتِ . . إِنِّي مَاقَعَدْتُ عَنِ التَّشْرِفِ

بِزِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِعَجْزٍ مَنَعَنِي . وَلَقَدْ

مَرَّتْ بِي أَيَّامٌ شَدَادُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُنْتُ أَرَى

فِيهَا الْمَوْتَ خَيْرًا مِنَ الْحَيَاةِ !!

وَقَسَّ عَلَى كُلِّ مَا حَدَّثَ مَعَهُ !!

فَقَالَ سُلَيْمَانُ بِعَجَبٍ وَدَهْشَةٍ :

— لَيْسَ لَكَ عَرَفْتُ جَابِرَ الْعَثْرَاتِ ، ذَلِكَ الْإِنْسَانُ
الْكَرِيمَ . . . إِنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالنَّقْدِ بِرَوَاكِرِ الْإِكْرَامِ .
وَلَوْ عَرَفْنَاهُ لَكَافَأْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي لَيْسَ
لَهَا مَثِيلٌ !!

ثُمَّ قَالَ بِاسْتِنْكَارٍ :

— وَكَيْفَ حَدَّثَ لَكَ كُلُّ هَذَا ، وَعِزِّمَةٌ بَرَى
وَلَيْسَمَعُ ؟ ! إِنْ كَانَ قَدْ جَهِلَ مَا أَصَابَكَ مِنْ
شِدَّةٍ ، كَانَ مِنْهُمَا بِالنَّفْصِ بِرَفِيمًا بِحَبِّ عَلَيْهِ
لِلرَّعِيَّةِ الَّتِي بَرَّعَاهَا فِي وَلَابِنِهِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ
عَلِمَ وَلَمْ يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ ، كَانَ مِنْهُمَا

بِالْبُخْلِ .. وَهُوَ فِي كُلِّهَا الْحَالِيْنَ لَا يَصْلَحُ لِعَمَلِهِ !!
 وَدَعَا الْكَائِبَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُعَدَّ قَرَارًا بِعَزْلِ عِكْرِمَةَ،
 وَتَوَلَّيَهُ خُزَيْمَةَ مَكَانَهُ !!

— ٤ —

سَارَ خُزَيْمَةُ وَهُوَ فِي مَوْكِبِ الْوَالِي الْفَتْحِ ،
 وَسَبَقَهُ الرَّسُلُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، بِحُمُلُونَ خَبَرَ
 تَوَلَّيْنِهِ !!

فَخَرَجَ عِكْرِمَةُ وَأَشْرَافُ الْمَدِينَةِ لِيَسْتَقْبِلُونَهُ
 عَلَى الْحُدُودِ ، وَبِالْغُنُونِ فِي الْحَفَاوَةِ بِهِ .. وَسَارَ
 بَيْنَهُمْ فِي أُبْهَةِ وَعَظْمَةٍ ، حَتَّى دَخَلَ قَصْرَ

الإِمَارَةِ ، وَجَلَسَ عَلَى الْكَرْسِيِّ الْمَعْدِّ لِلْأَمِيرِ ، ثُمَّ
نَظَرَ إِلَى رَئِيسِ الشُّرْطَةِ وَقَالَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى
عِزَّةٍ :

— خُذْهُ وَشَدِّدْ عَلَيْهِ الْحِرَاسَةَ ، حَتَّى نَحَاسِبَهُ
عَلَى مَا جَمَعَهُ مِنْ أَمْوَالِ الْوِلَايَةِ . . وَإِيَّاكَ أَنْ
يُفْلِتَ مِنْ يَدِكَ ، فَإِنَّ رَأْسَكَ سَيَطِيرُ مِنْ
فَوْقِ كَتِفَيْكَ !!

لَمْ يَجْزَعْ عِزَّةٌ وَلَمْ يَضْطَرْبْ ، بَلْ
سَارَ مَعَ رَئِيسِ الشُّرْطَةِ ، ثَابِتَ الْخُطَى ،
ثَابِتَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ !!

قَضَى خُرَيْمَةَ أَيَّامًا يُصَرِّفُ شُئُونَ الْوِلَايَةِ،
ثُمَّ فَرَعَ لِحِسَابِ عِكْرَمَةَ . . . وَكَانَ حِسَابًا عَسِيرًا
شَاقًّا ، كَشَفَ عَنْ نَفْصٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، قَدْرُهُ
أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيدَ
إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مَا نَقَصَ . . . وَلَكِنَّ عِكْرَمَةَ
اعْتَدَرَ بِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا !!

لَمْ يَجِدْ خُرَيْمَةَ مَفْرًا مِنْ عِقَابِ عِكْرَمَةَ ،
فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِي السَّجْنِ ، وَأَنْ يُفَبَّدَ بِالسَّلَاسِلِ
التَّضْيِلَةِ ، وَأَنْ تُنَزَعَ عَنْهُ مَلَابِسُهُ الرَّفِيقَةُ ،
وَيُبَدَلَ مِنْهَا خَشَنَ الثِّيَابِ .

وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْفُسُوءَةَ سَتَحْمِلُ عِزَّهُ
 عَلَى إِخْرَاجِ مَا بَخُفِيهِ مِنْ أَمْوَالٍ . . . وَلَكِنْ عِزُّهُ
 نَقَبَلَ كُلَّ ذَلِكَ بِصَبْرِ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ النَّفِيسِ ،
 وَلَمْ يَنْطِقْ لِسَانُهُ بِشَكْوَى ، وَلَمْ يَكْشِفْ سِرَّهُ
 مَعَ خُرَيْمَةَ لِأَحَدٍ .

طَالَ سِجْنُ عِزِّهِ وَسَاءَتْ حَالُهُ ، وَخَشِبَتْ
 زَوْجَتُهُ أَنَّ يُصِيبَهُ النَّفْلُ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا :
 — لَا خَالَفَنَّا الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدْنَاهُ عَلَيْهِ !!
 وَدَعَتْ بَارِيَةَ ذَكِيَّةً وَقَالَتْ لَهَا :
 — اذْهَبِي إِلَى قَصْرِ خُرَيْمَةَ ، وَاطْلُبِي الْإِذْنَ

عَلَيْهِ ، وَقُولِي : مَعِيَ كَلَامٌ لَا يَجُوزُ أَنْ
يَسْمَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْأَمِيرُ وَحْدَهُ . فَإِذَا خَلَوْتَ
بِهِ فَعَرِّفِيهِ بِنَفْسِكَ وَقُولِي لَهُ :

— لَيْسَ هَذَا جَزَاءَ جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكَرَامِ !!

م م م

سَمِعَ خُرَيْمَةُ كَلِمَةَ الْجَارِيَةِ ، وَهَبَتْ
وَأَفِئًا صَاحُحًا كَأَنَّمَا لَدَغْنَهُ حَيَّةٌ رُقْطَاءٌ وَهُوَ
يَقُولُ :

— يَا سَوْءَ نَاهُ !! يَا فَضِيحَنَاهُ !! إِذَنْ
هُوَ عِكْرِمَةُ !! يَا سَوْءَ جَزَائِي لَهُ !! يَا لَوْمُ

نَفْسِي وَخِشَّةَ طَبْعِي !!

وَقَامَ مِنْ سَاعِنِهِ وَرَكِبَ إِلَى السَّجْنِ هُوَ
وَأَشْرَافُ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلُوا عَلَى عِكْرَمَةَ ، فَوَأَوْهُ
فِي شَرِّ حَالٍ . . . جِسْمٍ هَزِيلٍ ، وَلَوْنٍ أَصْفَرٍ ،
وَمَلَأَ بِسَخِشَةٍ وَسِخَةٍ !! فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ
عِكْرَمَةُ خَجَلَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ ، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ
إِلَى الْأَرْضِ . . . وَعَرَفَ خُرَيْمَةً مَا بِنَفْسِهِ ،
فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَانْحَنَى عَلَى رَأْسِهِ وَأَخَذَ يُقَبِّلُهُ
وَيَبْكِي !!

فَدَهَشَ عِكْرَمَةُ وَقَالَ :

— مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْحَلِّ أَبْنَاهَا الْأَمِيرُ؟
فَأَجَابَ خُزَيْمَةُ :

— كَرَّمُ فِعْلِكَ ، وَسُوءُ مُكَافَأَتِي !!
فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

— سَامَحَكَ اللَّهُ ، وَغَفَرَنِي وَلَكَ . .
إِنَّكَ مَا فَعَلْتَ إِلَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْوَالِي
الْحَرِيصُ عَلَى مَالِ الْمُسْلِمِينَ !!

فَدَعَا خُزَيْمَةُ الْحَدَّادَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ
قُبُودَ عِكْرِمَةَ ، وَأَنْ يُقَيِّدَهُ هُوَ مَكَانَهُ ،
فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

— وَلِمَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ !

فَأَجَابَ :

— إِنَّ نَفْسِي لَأَنْطِيبُ وَلَأَنْتَهْدَأُ إِلَّا إِنْ نَأَلَنِي

مِنْ أَلَمِ الْفَيْدِ وَالْحَبْسِ مِثْلُ الَّذِي نَأَلَكَ مِنْهُمَا .

فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

— أَحْلِفْ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَلَّا تَفْعَلَ !!

///

وَخَرَجُوا مِنَ السَّجْنِ وَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا

إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ

أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى دَارِهِ ، وَلَكِنْ خُزَيْمَةُ أَبَى وَقَالَ :

— لَنْ تَعُودَ إِلَى دَارِكَ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالِ،

فَإِنْ خَجَلِي مِنْ بِنْتِ عَمِّكَ أَشَدُّ مِنْ خَجَلِي مِنْكَ!!

وَدَخَلَ الْقَصْرَ وَأَمَرَ خُزَيْمَةَ بِإِعْدَادِ الْحَمَامِ

الْفَخْمِ . وَرَاحَ يَخْدُمُ عِزْمَةَ بِنَفْسِهِ ، وَلَيْشَرَفُ

عَلَى حَمَامِهِ . ثُمَّ أَلْبَسَهُ أَفْخَرَ الثِّيَابِ ، وَجَلَسَ

مَعَهُ عَلَى مَائِدَةٍ تَجْمَعُ مَا لَدَى وَطَافٍ مِنَ الطَّعَامِ .

وَأَمَرَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ وَهَدَايَا غَالِيَةٍ ، فَحَمَلَتْ

إِلَى دَارِهِ مَعَ رَسُولٍ يَرْفُ الْبُشْرَى لِرُفُوحِهِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ اسْتَقْبَلَتْ دَارُ عِزْمَةَ سَبْدَهَا

الْعَظِيمَ بِفَرَحَةٍ مَا بَعْدَهَا فَرَحَةً ، وَازْدَحَمَتْ

بِأَفْوَاجِ الْمُهَنْتَيْنِ الْفَادِمِينَ مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ
فِي الْمَدِينَةِ .

م م م

وَفِي إِحْدَى الْحُجَرَاتِ جَلَسَ خُرَيْمَةُ وَعِكْرَمَةُ ،
وَأَخَذَ خُرَيْمَةُ بِمُخَاطَبِ زَوْجَةِ عِكْرَمَةَ وَهِيَ
جَالِسَةٌ وَرَاءَ سِتَارٍ ، وَيَقُولُ لَهَا :

— إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا حَدَثَ يَا بِنْتَ الْعَمِّ ،
وَلَكِنِّي أَغْنِبُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْعَنَابِ ، لِأَنَّكَ
تَرَكْتَنِي أَفْعَلُ مَعَ عِكْرَمَةَ مَا فَعَلْتُ ، وَكُنْتُ
لَسْتُ طَائِعِينَ أَنْ تُنْفِذَ بَنِي مِنْ هَذِهِ الْفَعْلَةِ الْخَسِيسَةِ !!

فَأَجَابَتْ :

— كُنْتُ أَخْشَى غَضَبَهُ يَا خُرَيْمَةُ ... وَإِنِّي
مَا زِلْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ غَاظِبًا عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ ،
يَهْزُنُ خَالَفْتُ مَا عَاهَدْتُهُ عَلَيْهِ !!

وَأَرْجُوكِ يَا خُرَيْمَةُ أَنْ تَشْفَعِ لِي عِنْدَهُ ، وَأَنْ
تَطْلُبَ لِي مِنْهُ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ !!

فَقَالَ عِكْرِمَةُ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ رَزِينٍ :

— غَفَرَ اللَّهُ لَنَا جَمِيعًا !!

— ٥ —

قَضَى عِكْرِمَةُ مَعَ أَهْلِهَا أَيَّامًا صَافِيَةً مِنْ



وجلس معه على مائدة تجمع مالذ وطاب.. ص ٤٨

الْأَكْدَارِ ، وَفَرَعَ مِنْ اسْتِثْبَالِ الْمُهَنْثِثِينَ
وَالضُّبُوفِ ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ خُرَيْمَةٌ عَنْ زِيَارَتِهِ فِي
كُلِّ هَذِهِ الْأَيَّامِ .

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي ، افْتَرَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَبَ
مَعَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَفَعِلَ
الْإِفْتِرَاحَ وَأَخَذَا يَسْتَعِدَّانِ لِلْسَّفَرِ .

وَصَلَ رَكْبُهُمَا إِلَى قَصْرِ سُلَيْمَانَ ، وَدَخَلَ
الْحَاجِبُ يَسْنَأُذُنَ لِحُرَيْمَةَ فِي الدُّخُولِ . .
وَكَانَتْ الْجَزِيرَةُ تُجَاوِرُ بِلَادَ الرُّومِ وَالْعَارِكِ
الْحَرَبِيَّةِ وَالْعَارَاتُ لَا تَنْقَطِعُ فِيهَا بَيْنَ الْعَرَبِ

وَالرُّومَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ اسْمَ خُرَيْمَةَ ، ارْتَبَكَ

وَقَالَ :

— وَالِى الْجَزِيرَةِ يَتْرُكُ وَلَاحِنَهُ ، وَيَجِئُ

إِلَيْنَا بِدُونِ طَلَبٍ مِنَّا ؟ ! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ

قَدْ حَدَثَ فِي الْوِلَايَةِ حَدَثٌ خَطِيرٌ ! !

ثُمَّ قَالَ لِلْحَاجِبِ :

— ادْخُلْهُ وَعَجِّلْ ! !

وَمَا كَادَ خُرَيْمَةُ يَقِفُ أَمَامَ سُلَيْمَانَ ، حَتَّى

سَأَلَهُ سُلَيْمَانُ فَبَلَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ النُّجِيَّةَ :

— مَاذَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ ؟ ؟ وَلِمَاذَا جِئْتَ

دُونَ دَعْوَةِ مِنَّا ؟

فَا بِنَسَمَ خُرَيْمَةُ ابْتِسَامَةً أَعَادَتْ لِإِطْمِئْنَانِ

إِلَى قَلْبِ سُلَيْمَانَ وَقَالَ :

— خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !!

فَقَالَ سُلَيْمَانُ :

— هَلْ أَخْرَزْتَ جُيُوشَكَ نَصْرًا جَدِيدًا فِي

بِلَادِ الرُّومِ يَا خُرَيْمَةُ ، فَجِئْتَ تَرُفُّ الْبَنَاتِ بَشْرَى

هَذَا النَّصْرِ ؟ !

فَأَجَابَ خُرَيْمَةُ :

— إِنِّي جِئْتُ الْبَشَرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ الْكَبَرِ

مِنَ النَّصْرِ فِي الْحُرُوبِ وَالْفِتَالِ ... جِئْتُ الْبَشَرُ

بِأَنِّي عَثَرْتُ عَلَى جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ !!

فَطَرَبَ سُلَيْمَانُ حَتَّى وَقَفَ مِنْ فَوْقِ مَفْعَدِهِ،

وَقَالَ بِلَهْفَةٍ :

— حَقًّا وَجَدْتُهُ وَعَرَفْتُ طَرِيقَهُ يَا خُرَيْمَةُ !

مَنْ هُوَ ؟ وَأَيْنَ كَانَ ؟

فَقَالَ خُرَيْمَةُ :

— وَحَيَاتِكَ قَدْ وَجَدْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ..

وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَابِكَ الْآنَ .. إِنَّهُ الرَّجُلُ

الَّذِي صَنَعَهُ كَرَمٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَمُهُ الْبَذَلُ
وَالْجُودُ وَالسَّخَاءُ : عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ !!
فَرَجَعَ سُلَيْمَانُ إِلَى مَقْعَدِهِ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ
وَقَالَ :

— لَقَدْ ظَلَمْنَا عِكْرِمَةَ ، وَأَسَانَا بِهِ الظَّنَّ ،
وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ ، الَّذِي يَخْجَلُ الْبَحْرُ مِنْ
كَرَمِهِ ، وَيُقْصَرُ السَّحَابُ عَنْ جُودِهِ !!
هَيَّا أَدْخِلْهُ مُكْرَمًا يَا خُرَيْمَةُ !!

///

إِخْتَفَى سُلَيْمَانُ بِعِكْرِمَةَ حَفَاوَةً ظَاهِرَةً ،

وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَأَخَذَ يُلَاطِفُهُ وَيَقُولُ :
 — لَقَدْ كَانَ إِحْسَانُكَ إِلَيَّ خُرِيْمَةً سَبِيًّا فِي أَنْ
 تَلَقَّيْتَنِي مَا لَيْفِيَتْ فِي السَّجْنِ يَا عِكرِمَةً !!
 فَقَالَ عِكرِمَةً :

— بَلْ كَانَ سَبِيًّا فِي أَنِّي ظَفَرْتُ بِعَظْفِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَرِضَاهُ .. وَلَوْلَا أَنِّي لَفَيْتُ مَا لَيْفِيَتْ ،
 مَا جَلَسْتُ هَذَا الْمَجْلِسَ الْكَرِيمَ !!

فَبَالَغَ سُلَيْمَانُ فِي إِظْهَارِ رِضَاهُ عَنْهُ ،
 وَعَظَّفِهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ :

— أَذْكُرُ جَمِيعَ حَاجَاتِكَ يَا عِكرِمَةً ، فَإِنَّهَا

مَفْضِيَّةٌ فِي سَاعَتِهَا هَذِهِ !!

وَقَفَ عِكْرَمَةُ بِأَدَبٍ وَقَالَ بِلِسَانِ الشَّارِكِ :

— إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَاتِ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

شَرَفٌ . وَلَكِنَّكَ لَمْ تَتْرُكْنِي أَحْنَاجُ إِلَى شَيْءٍ ،

فَإِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَزِيدَنِي شَرَفًا

وَنِعْمَةً ، فَلْتَنْفَضِّ عَلَى يَمَا بَلِيقُ بِكْرَمِكَ وَفَضْلِكَ !!

إِهْتَرَّ سُلَيْمَانُ طَرَبًا فِي مَجْلِسِهِ ، عِنْدَ مَا

سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ الْجَمِيلَ وَقَالَ :

— يَا غُلَامُ ، ادْعُ لَنَا خَازِنَ بَيْتِ الْمَالِ ، وَكَبِيرَ

الْكِتَابِ ، وَرَئِيسَ الْجَيْشِ .

فَلَمَّا حَضَرُوا أَمَرَ لِعِكْرِمَةَ بِعَشْرِ أَلْفٍ دِينَارٍ،
 تَخْرُجُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَأَمَرَ كَاتِبَهُ أَنْ يُعَدَّ
 وَثِيقَةً بِتَوَلِيهِ ثَلَاثَ وَلَايَاتٍ كَبِيرَةٍ : الْجَزِيرَةَ،
 وَأَرْمِينِيَّةَ ، وَأَذَرْبَيْجَانَ .

وَأَمَرَ رَئِيسَ الْجَيْشِ أَنْ يُسَلِّمَهُ أَعْلَاهُ هَذِهِ
 الْوَلَايَاتِ فِي حَضْرَةِ كَبِيرٍ .

وَقَالَ لِعِكْرِمَةَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى خَزِينَةٍ :
 — وَأَنْتَ الْآنَ يَا عِكْرِمَةُ صَاحِبُ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ
 خَزِينَةٍ ، إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ فِي وَلَايَتِهِ نَابِعًا لَكَ،
 وَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ !!

فَوَقَفَ عِكرِمَةُ وَهُوَ يَقُولُ :

— بَلْ يَبْقَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . . زَادَكَ اللَّهُ عِزًّا

وَتَأْيِيدًا ، وَأَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لَكَ ، وَالْوَفَاءِ

بِحَقِّكَ !!

م م م

أَمَّا بَعْدُ ، فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ مِنَ الْعَرَبِ ،

اشْتَهَرُوا بِالْكَرَمِ ، الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ،

وَلَوْلَا كَرَمُهُمْ مَا بَقِيَ ذِكْرُهُمْ .

فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ يَبْقَى ذِكْرُكَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ !!

لَقَدْ عَرَفْتَ الْآنَ طَرِيقَ الذِّكْرِ وَالْخُلُودِ !!

هدية الطفل

ظهر منها

- | | |
|------------------------|--------------------------|
| (٢١) الطبال الصغير . | (١) السمكتان التوحشتان . |
| (٢٢) مع ملك البحار . | (٢) الأبرة العجيبة . |
| (٢٣) أحذية الأميرات . | (٣) قطوطة الجميلة . |
| (٢٤) التفاحة العجيبة . | (٤) قطعة الذهب . |
| (٢٥) رأس الشيطان . | (٥) بحيرة الذئب . |
| (٢٦) مفضي الإمبراطور . | (٦) التمثال الباكي . |
| (١٧) الصندوق الطائر . | (٧) صانعة البطل . |
| (٢٨) ثورة جزيرة . | (٨) هدية القزم . |
| (٢٩) خرطوم الفيل . | (٩) مزرعة الأرنب . |
| (٣٠) بنت أمير الشمس . | (١٠) دموع التماسيح . |
| (٣١) أرض الأحرار . | (١١) من أخلاق العرب . |
| (٣٢) أميرة البرتقال . | (١٢) فرقة موسيقى . |
| (٣٣) الفلاح السعيد . | (١٣) الطائر الأخضر . |
| (٣٤) مثل في الجود . | (١٤) ذو الرداء الذهبي . |
| (٣٥) الأمير التخفي . | (١٥) شجرة الذهب . |
| (٣٦) دامية سلام . | (١٦) جندي يعود . |
| (٣٧) عبيد العصا . | (١٧) في بيت العرائس . |
| (٣٨) سيد الكرماء . | (١٨) حياة جديدة . |
| (٣٩) معركة حول غدير . | (١٩) العرش الطائر . |
| (٤٠) رقصات الأبطال . | (٢٠) تاج الهدهد . |

مطلب من مكتب مصر